

## النمو الخلفى وفق نظرية كولبرك

- نظرية النمو الخلفى لكولبرك و مراحل النمو الخلفى عند كولبرك. وأخيراً نناقش أوجه الاختلاف بين نظرية بياجيه ونظرية كولبرك.  
كان عالم النفس الفرنسى جان بياجيه من أبرز علماء النفس فى القرن العشرين، وقد مثلت نظرية النمو المعرفى لبياجيه ثورة فى أوساط المهتمين بعلم النفس. وقد كان عالم النفس الأمريكى لورنس كولبرك Kohlberg ممن تأثروا ببياجيه ونظريته فى النمو المعرفى، مما حملة على دراسة النمو الأخلاقى عند الأطفال. وقد أسس كولبرك نظرية النمو الخلفى، والى بين فيها مراحل النمو الأخلاقى عند الأطفال، والى كانت بيئة خصبة للباحثين اللاحقين، حيث تناولوها بالدراسة، مبيينين أوجه الاختلاف بين نظرية بياجيه ونظرية كولبرك. وقد اعتمدت نظرية النمو الخلفى لكولبرك على الفلسفة الأفلاطونية ونظرتها للعدالة بوصفها مبدأ أخلاقى يتم من خلاله اختبار القانون.

### نشأة نظرية النمو الخلفى لكولبرك

أراد كولبرك تحديد مراحل النمو الأخلاقى للفرد عبر دراسة آراء الأطفال فى مفاهيم: اللوم والعقاب والحياة والحقيقة والعدالة الاجتماعية والجنس والفضيلة. ولم يكن كولبرك يستهدف الوصول إلى القوانين العاكسة لبنية السلوك الأخلاقى، وإنما كان يستهدف تلك التى تعكس بنية الحكم الأخلاقى. لذا فقد عمد كولبرك إلى مقابلة الأطفال وعرض عليهم قصصاً قصيرة، بحيث تتضمن كل قصة معضلة أخلاقية تواجه الشخصية الرئيسية. لىبدأ كولبرك فى ملاحظة تعليق الطفل على القصة ووقوفه ضد الشخصية والهجوم عليها، أو وقوفه معها والتبرير لها. فىطلب أولاً من الطفل الحكم على الفعل الذى قامت به الشخصية الرئيسية، وبيان أسباب ذلك الحكم. ثم يطلب منه حلاً بديلاً كان ينبغى على الشخصية الرئيسية القيام به، وبيان أسباب اختياره لذلك الفعل.

## مراحل النمو الأخلاقي عند كولبرج

بحسب نظرية النمو الخلقي لكولبرج.. فإن الحكم الأخلاقي يمر في نموه يتطور في ثلاثة مستويات، كل مستوى يتكون من مرحلتين.

**أولاً: المستوى قبل التقليدي Pre-conventional level** أو قبل الاخلاقي

من الولادة -9 سنوات :

يستمر هذا المستوى منذ ولادة الطفل وحتى بلوغه تسع سنين، حيث يتأثر الطفل بالثقافة والقواعد والتسميات للخير والشر والصواب والخطأ. ويتلقى الطفل هذه الثقافة من الوالدين والمعلم والأشخاص الأكبر سناً من حوله.

ويتضمن هذا المستوى أول مرحلتين من مراحل النمو الأخلاقي عند الأطفال:

▪ **التوجه نحو العقاب والطاعة:** حيث يبدأ الطفل في الربط بين الأفعال

السيئة والعقاب، وبين الأفعال الحسنة والثواب. يتجن الخطأ خوف من العقاب لكن الطفل في أولى مراحل النمو الأخلاقي لا يدرك المعنى الإنساني وراء هذه الأحكام الأخلاقية، وإنما يحترمها خضوعاً لمن أطلقها، كالوالدين أو غيرهم.

▪ **التوجه النفقي النسبي:** حيث يرى الطفل أن الفعل الصحيح هو الفعل

الذي يشبع حاجته الشخصية، أو حاجات الآخرين. كما أن الطفل يميل إلى تفسير العلاقات البشرية بطريقة مادية، ليست مبنية على القيم الإنسانية، وإنما على تحقيق المنفعة الشخصية.

**ثانياً: المستوى التقليدي 9-15 سنة القواعد المجتمعية**

:

يمتد هذا المستوى من سن التاسعة إلى بلوغ الخامسة عشرة. وفيه يتخذ

الطفل مسلكاً ينسجم مع توقعات الأسرة والمجتمع، ويتجلى ذلك في دعم

القوانين والمحافظة عليها. ويشتمل هذا المستوى على مرحلتين هامتين من

مراحل النمو الأخلاقي عند الأطفال، وهما:

▪ **مرحلة توافق العلاقات الشخصية:** وفيها ينحاز الطفل للأفكار السائدة

عن ماهية السلوك الحسن، كما يميل إلى التحلي بالسلوكيات التي تنال استحسان الآخرين ورضاهم. كما أنه يميل للحكم على مقاصد السلوك، بدلاً من الحكم على ذات السلوك مراهق يساعد أصدقاءه ليُنظر إليه

كشخص جيد.

▪ وبالتالي فإن أحكامه الأخلاقية لا تعتمد على نتائج الفعل، وإنما على نية

الفاعل.

- **التوجه نحو النظام والقانون:** ففي هذه المرحلة من مراحل النمو الخلقي.. يميل الطفل إلى المتماشي مع القوانين والنظام الاجتماعي السائد، عبر احترام السلطة وأداء الواجبات. والفرق بين الالتزام بالنظم الاجتماعية في هذا المستوى وسابقه.. شخص لا يقطع الإشارة حتى لو كانت الطريق فارغة أن الرغبة في الالتزام هنا نابعة من داخل الطفل، بينما يكون التزاماً خارجياً إجبارياً خلال المرحلة السابقة من مراحل النمو الخلقي عند الأطفال.

### ثالثاً: المستوى بعد التقليدي الاستقلالي Post conventional autonomous level من 15-----

- يشهد هذا المستوى أكثر مراحل النمو الخلقي تقدماً، حيث يسعى الفرد لتحديد المبادئ والقيم الأخلاقية. ويشتمل هذا المستوى على المرحلتين الأخيرتين من مراحل النمو الأخلاقي عند كولبرج، وهما:
- **التوجه نحو العقد الاجتماعي:** وفي هذه المرحلة ينمو وعي الفرد بنسبية القيم والآراء الشخصية. فيحكم الفرد على صحة الفعل من خلال مدى تقيده بحفظ الحقوق الفردية والعامة، بالإضافة إلى تقيده بالمعايير المجتمعية. مثال ناشط يدافع عن تغيير قانون غير عادل.
- **التوجه الأخلاقي:** وهذه المرحلة هي أعلى مراحل النمو الأخلاقي عند الفرد، فالفرد يعتبر الضمير الأخلاقي هو مرجعية الصواب. وتعتبر هذه المرحلة هي مرحلة المبادئ الكلية التي تشمل المساواة والعدالة في الحقوق الإنسانية. شخص يساعد الآخرين حتى لو كان ذلك يعرضه للخطر.
- **أوجه الاختلاف بين نظرية بياجيه ونظرية كولبرج**
- **أسلوب الدراسة:** كما سبق وأشرنا فإن كولبرج كان من المتأثرين ببياجيه، وقد مال إلى سلوك طريقته في دراسة النمو الأخلاقي عند الأطفال. وبالرغم من ذلك فإن كولبرج قد غيّر قليلاً في هذه الطريقة لتتناسب مع أهدافه في دراسة النمو الأخلاقي عند الأطفال، وبالتالي يمكن اعتبار الأسلوب من أوجه الاختلاف بين نظرية بياجيه ونظرية كولبرج.
- **مراحل النمو:** كان بياجيه أن معارف الطفل منذ ولادته تتشكل وتنمو عبر المرور بعدة مراحل، وقد تأثر به كولبرج في هذه المسألة، حيث رأى نمو الحكم الأخلاقي. وجاءت نظرية النمو الخلقي لكولبرج مقسمة إلى ثلاثة

مستويات، تتضمن ثلاث مراحل من مراحل النمو الأخلاقي. بينما حدد بياجيه النمو بأربع مراحل.

يتبين من عرضنا لنظرية النمو الخلقي لكولبرج.. أن كولبرج كان يرى أن الحكم الأخلاقي عند الأفراد ليس ثابتاً وإنما ينمو باستمرار. حيث يترقى فكر الفرد من التمرکز حول الذات إلى الموضوعية، ومن التفكير المادي الملموس إلى التفكير القيمي المجرد.

### التطبيقات التربوية لنظرية كولبرك

- 1- تعزيز التفكير الأخلاقي عبر المناقشات والسيناريوهات الأخلاقية.
  - 2- دمج القيم الأخلاقية في المناهج من خلال الأدب، التاريخ، والتربية الدينية.
  - 3- إنشاء بيئة صفية داعمة عبر القوانين الصفية والعمل الجماعي.
  - 4- تدريب المعلمين على استخدام استراتيجيات تحفّز التفكير الأخلاقي.
  - 5- ربط التعلم الأخلاقي بالأنشطة المجتمعية مثل خدمة المجتمع والمناظرات.
- تسعى على تنمية القدرة على اتخاذ قرارات أخلاقية واعية وتحقيق تربية شاملة.